دلالة الفاظ الاحاطة في القرآن الكريم

أ . م د . فاطمة عبد الزهرة عبد الجليل العيداني
المديرية العامة لتربية البصرة
قسم تربية شط العرب

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية. دلالة . القرآن الكريم.

الملخص:

الفاظ الإحاطة من الألفاظ التي يتبادر إلى الذهن عند سماعها، إحاطة الشيء من كل جوانبه متضمنة الإحداق بالشيء، وتطويقه احاطة مادية. امّا ما ورد في القرآن الكريم من الفاظ فقد تجاوز الإحاطة المادية المتصورة إلى معانٍ تجلت فيها قدرة الله، وعظمته في الاحداق بالأشياء والإحاطة بها، وابانت قدرة الله سبحانه وتمكنه، فهي إحاطة تجاوزت ما يدور في الأذهان إلى دلالة العظمة والعلم والتمكن والقهر والإهلاك، اما الإحاطة غير المتعلقة بذاته سبحانه، كالمرتبطة بالرسل وسائر البشر، يمكن أن تكون ضمن الإحاطة المادية والمعنوية بالوقت نفسه. أمّا ما يتعلق بالآخرة يمكن أن يكون مادياً محسوساً؛ لأن العذابَ واقع مادياً (على حسب ما ورد في التفاسير)؛ للتهويل والتخويف، ويمكن أن يكون معنوياً من أجل محاسبة النفس، ورجوعها للحق . إلا إن معالجتنا لها لا تتعدى الدلالة اللّغوية، وما يتشظى عنها من دلالات.

اشكالية البحث الرئيسة:

هناك كثير من التساؤلات التي تدور في الذهن حول ألفاظ الإحاطة، منها هل استعمل القرآن الكريم الجذر (حوط) في الدلالة على الإحاطة فقط.

ماهي الألفاظ الاخرى الدالة على الإحاطة في القرآن الكريم؟

هل الإحاطة الواردة في القرآن الكريم مادية فقط؟.

هل وردت الإحاطة مرتبطة فقط بالله سبحانه وتعالى أم مع غيره جل شأنه؟.

أهداف البحث:

اولاً: الهدف الرئيس ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، ومن ثم البحث عن الألفاظ التي دلّت على الإحاطة، اذ لم يقتصر الله سبحانه في كتابة على جذر حوط، وما اشتق منه لدلالة عليها. وإنما كانت هناك ألفاظاً أخرى حملت دلالة الاحاطة ، وقد أبان البحث عنها.

ثانياً: الكشف عن أن ألفاظ الإحاطة في القرآن الكريم قد تخطت دلالاتها المادية، إلى دلالات معنوية أعمق، وتضمنت معان أخرى مع دلالاتها.

ثالثا: الإبانة عن أن إحاطة الرسل وسائر البشر، مهما بلغ علمهم ، فهي متضائلة أمام إحاطته سبحانه جل شأنه وعلا. رابعا: الابانة عن دلالة الفاظ الإحاطة مع الموجودات أخرى .

المقدمة:

إن كتاب الله، كتاب لا تنقضي عجائبه، ولا تنقطع مدلولاته التي لا يمكن الإحاطة بها، وهو دليل على اعجازه في حروفه وألفاظه التي اعجزت كل من وطأ الثرى من الوصول الى فصاحته أو اعجازه.

المبحر في كتاب لله سيجد فيه من معانٍ وألفاظ يتلمس جمالها وتبهره دلالاتها، ويحاول أن يفهمها من خلال سياقها، واستعمال مساقاتها في حياته اليومية، ومن تلك المعاني معنى الإحاطة، التي لها مشتقات كثيرة منها الحائط الذي يكون حول المنزل أو المزرعة، ومنه أيضا القول المشهور: «أحاط به إحاطة السوار بالمعصم»، وللقرآن الكريم استعمالاته الخاصة من خلال سياقاته البديعة، التي تسبغ على المعنى دلالات إضافية ، فللكتاب الحكيم سياقاته المعجزة، وتراكيبه البيانية المبهرة، وقد لفت انتباهي ما ورد من الفاظ الإحاطة في القرآن الكريم بصورها المتنوعة الفعلية والاسمية بألفاظ الإحاطة نفسها، أو بألفاظ دلت على الإحاطة مثل (حجرات، طوق ،سور، سورة، سرادق، وسلاسل، الاغلال ،محصنة) فقد حملت معنى الإحاطة وجعلته يشع بمعانٍ ومدلولات معنوية ؛ لتوظيفها في سيّاقات بيان قدرة الله سبحانه، فهو العالم والمحيط ، والقادر، وفي سياق ارتباطها بسائر البشر والرسل ، وبيان أن علمهم مهما بلغ فهو محاط من قبله سبحانه، وكما وردت الاحاطة في سياقات ذكر الاخرة في مواضع بيان عذابها كي تجعل المشهد اكثر بشاعةٍ من أجل ردع الانسان وتذكيره بقدرته سبحانه، فهو القادر والمحيط والمتربص بالكافر ، وغير الممتثل لحدوده جل شأنه، ووردت مع المخلوقات الاخرى كالهدهد، وقد تجلت في احاطته المادية دليل قدرة الله سبحانه في العلم والاطلاع، فمهما بلغ علم الانبياء، يمكن لله أن يجعل أحد مخلوقاته أكثر أحاطته منه، وفي ذلك نكتة في بيان أحاطته سبحانه، وردع التعالي من قبل البشر.

وقد جاء هذا البحث لبيان تلك الدلالات، وما تشظى منها من إضاءات الهية في سياقات الآيات التي وردت فيها؛ لأن السّياق هو ميدان تفاعل الألفاظ ومِضمار وضوح دلالاتها. وبعد البحث والنظر في تفسيرها وجدت أنه يمكن تقسيمها الى الإحاطة المرتبطة بالله جل شأنه، والإحاطة المرتبطة بالرسل وسائر البشر، والإحاطة المرتبطة بالآخرة ،وما يتعلق بها، والإحاطة المرتبطة بالموجودات الاخرى.(الحية، والجامدة).

وقبل الشروع في بيان تلك الدلالات، لابد من بيان معنى الإحاطة لغة واصطلاحاً، وبيان معاني الألفاظ الاخرى التي تدل على الإحاطة في القرآن الكريم ، للوقوف على معانيها، وكيفية توظيفها في سياقتها القرآنية الواردة فيها .

الإحاطة في اللّغة:

حوط:

الحيطَةُ بالكسر. الحِياطَةُ، الحائِطُ: واحد الحِيطانِ، صارت الواو ياءً لانكسار ما قبلها . وحَوَّطَ كَرْمَةُ تَحْويطاً:بنى حوله حائِطاً، فهو كَرْمٌ مُحَوَّطٌ. ومنه قولهم: أنا أحَوِّطُ حولَ ذلك الأمر، أي أدور. والحُواطَةُ: حَظيرةٌ تُتَّخذُ للطعام. ويقال: احتاط الرجلُ لنفسه: بمعنى أخذ بالثقة. وكما يقال: أحاط به علما، وأحاط به: أي عَلِمه. وأحاطت الخيل ِ بفلانٍ: أي أحدقت به وأحاطته.[1]

والاحتياط: افتعال من الحوط، وهو استعمال الحِياطة أي الحفظ. وإحاطة علمه تعالى بالأشياء هو أن يعلم قدرها و وجودها و وصفتها و كيفيتها وغرضها المقصود بها جنسها وصفتها، وبإيجادها وما يكون منها، وهذا ليس إلا الله تعالى، ولذلك قال :((بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه)) يونس: 39 و((ولا يحيطون به علمًا))طه: 110، وحكايته تعالى عن العبد الصالح: ((وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرًا)) الكهف: 68. تنبيه على أن الصبر التام إنما يقع بفيض إلهي بعد إحاطة العلم بالشيء . وقوله :((وظنوا أنّهم أحيط بهم)) يونس:22: أي انهم قد هلكوا، وهو دليل على قدرته سبحانه.[2]

وتبين مما تقدم أنّ المعنى اللغوي للإحاطة هو الاستدارة الكاملة حول الشيء، والاحداق به من جميع جوانبه، وهو المعنى المحوري للفظة.

أما المعنوي[3] فان الاحاطة : تعني التعهد والحفظ، وأحاط بالأمر : تعني أحدق به من جوانبه كلها، قدرة وحفظاً، وعلماً وتمكناً، أي أحرزه كلّه وبلغ علمُه أقصاه ((وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا)) النمل: 84، ((أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا))الكهف:91.

الاحاطة في الاصطلاح:

(الإحاطة إدراك الشيء بكماله ظاهرا و باطنا)[4]، فالمعنى اللغوي للإحاطة لم يختلف عن المعنى الاصطلاحي، فكلاهما يدل على الاحاطة الكاملة والتمكن من الشيء.

الألفاظ الاخرى الدالة على الإحاطة :

اولاً: حجر:

هو : ((الحاجِر: ما يُمسك الماءَ من شَفَة الوادي ويحيط به، والجَدْرُ الذي يمسك الماء بين الدبار) والحُجْرةُ- بالضم :من البيوت معروفة، وحَظِيرة الإبل.والمَحْجِر -كمجلس : الحَدِيقة . وحَجَرْت الأرضَ واحتجرْتها : إذا ضَرَبْتَ عليها مَنَارًا تمنعها به من غيرك ...) والحِجَار- ككتاب : سور أو نحوه على ظهر البيت يمنع السقوط (والحَجَر- محركة :الصَخْرة. ومَحْجِر العين- كمجلس:ما دار بها من العظم الذي في أسفل الجَفْن، والمعنى المحوري: الحفظ ومنع الاختراق لصلابة مسترسلة تَحول- كما يمنع الحاجرُ والجَدْرُ والمنارُ والسورُ ومحجر العين العينَ. والحَجَر شديدُ التماسك لا يُخترق}.فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ] {البقرة: 60) وهو معروف وكل) حَجَر (و) حِجَارة (فهي من هذا، والحُجرة محجورة عن غير أهلها)).[5]

وحجر الثوب لأنه يمنع به ما يحصل فيه، وجعل كناية عن الإحاطة بالشيء ومنه: {وربائبكم اللاتي في حجوركم} [النساء: 23] أي في إحاطتكم عليهن أمرهن. وقوله: ((وحرث حجر))، الأنعام: 138: أي ما منعوه؛ وذلك ما حرموه من تلقاء أنفسهم كالسوائب والبحائر وما أعدوه من زروعهم للأصنام.

والحجرة في البيت: لما حوط به عليها من الدار؛ قال تعالى: ((من وراء الحجرات)) الحجرات:4، أو لأنها تمنع من فيها، والأول أشبه؛ فإنها فعلة بمعنى مفعولة نحو الغرفة.[6] فلفظة حجر وما ورد منها في القرآن الكريم دلت على الإحاطة المادية والمعنوية، وكلاهما لم يخرج عن المعنى اللغوي والمعنوي لمعنى الإحاطة من الاستدارة حول الشيء، والتمكن منه. فالإحاطة من معانيها الحفظ ، فالموجود في الغرفة ، تكون محيطة به، وحافظة له ،والمانعة له ؛ لأنها تحوطه، وقد استدارت عليه حيطانها.

ثانيا: حصن:

حصن :الحِصْنُ :كلُّ مَوْضِعٍ حَصِين لَا يُمكن الوصول إِلى مَا فِي جَوْفِه، وَالْجَمْعُ حُصونٌ .وحِصْنٌ حَصِينٌ :مِنَ الحَصانة .وحَصَّنْتُ الْقَرْيَةَ إِذا بنيتَ حولَها، وتَحَصَّنَ العَدُوُّ. وَفِي حَدِيثِ الأَشعث :تَحَصَّنَ فِي مِحْصَنٍ، حَصُنَ المكانُ يَحْصُنُ حَصانةً،فَهُوَ حَصِين: مَنُع، وأَحْصَنَه صاحبُه وحَصَّنه. المِحْصَنُ :القصرُ والحِصْنُ .وتَحَصَّنَ إِذا دَخَلَ الحِصْنَ واحْتَمى بِهِ. ودرْعٌ

حَصِين وحَصِينة :مُحْكمَة؛ قَالَ. ابْنُ أَحمر: همُ كَانُوا اليَدَ اليُمْنى، وَكَانُوا ... قِوامَ الظَّهْرِ والدِّرعَ الحَصِينا.[7]

فمن معاني الحصن، هي الإحاطة ، والحفظ والمنع .

ثالثا: حفّ

حفّ القوم بالشيء: أي حاطوه وأحدقوا به واستداروا حوله[8]

والمعنى المحوري: هو الاحاطة بحفاف الشيء ، كما يحفُّ القوم سيدهم، فهي من إحاطة شيء شيء، من لحظ الانتهاء الى الحافة المحيطة.[9] فدلالة الفعل (حفّ) تحمل معاني الاحاطة المعنوية بصورة لافتة ، فدلالة العناية والاهتمام تبدو بارزة في مواضع النعيم وإظهاره بشكل يليق بمن حفّ به. ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((مرحبا بطالب العلم إن طالب العلم تَحُفُّهُ الملائِكة بأجنحتها))[10]

رابعا: سردق:

سرادق: كُلُّ ما أحاط بشيءٍ فهو سُرادِق:، نحو الحائط الذي يشتمل على الشيء أو الشقة في المِضرب، وَالْجَمْعُ سُرادِقات؛ قَالَ سِيبَوَيْهِ: جَمَعُوهُ بِالتَّاءِ وَإِنْ كَانَ مُذَكَّرًا حِينَ لَمْ يُكَسِّرْ. وَفِي التَّنْزِيلِ: أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها، فِي صِفَةِ النَّارِ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: صَارَ عَلَيْهِمْ سُرادِقٌ مِنَ الْعَذَاب[11]. فتبدو إحاطة لفظة سرادق من حيث دلالتها المادية والمعنوية ، إحاطة أكثر تمكنا، ولاسيما هي إحاطة بالبناء، أو الحائط، فدلالة التمكن والاستدارة تضمنت معنى الغلق والاحكام، لذا استعملها سبحانه صفة نار جهنم .

خامساً: سلّ:

السلسة: من التسلسل، بمعنى الاضطراب والتردّد ، ويقال ماءٌ سلسلٌ، اذا تردد في مقرّه حتى صفا، كما يُقال تسلسل الشيُّ، اذا اضطرب كأنّما تصُوِّر منه تسلسلٌ وتردّد، والسلسة: دائرة من حديد ،حلقاتها متصلة بعضُها ببعض[12].وقد استعملها القرآن الكريم كأداة في التطويق والاحاطة ؛ لأنها تحيط ، وتستدير حول ما في داخلها .

سادسا: سور:

السَّوْر: (وثوب مع علوّ، ويستعمل في الغضب، وفي الشراب، يقال :سَوْرَةُ الغضب، وسَوْرَةُ الشراب، وسِرْتُ إليك، وسَاوَرَنِي فلان، وفلان سَوَّارٌ :وثّاب .والْإِسْوَارُ من أساورة الفرس أكثر ما يستعمل في الرّماة، ويقال: هو فارسيّ معرّب .وسِوَارُ المرأة معرّب، وأصله دستوار، وكيفما كان فقد استعملته العرب، واشتقّ منه :سَوَّرْتُ الجارية، وجارية مُسَوَّرَةٌ ومخلخلة، قا ((فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ))الزخرف: 53،((وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ)): الإنسان:21[13].

سُور المدينة: حائطها المشتمل عليه، قال تعالى: ((فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ)). الحديد 13

وليس يعني ما يحجب البصر، وانما يعني ما يمنع وصول لذة أهل الجنة لأصحاب الجحيم وبالعكس.

وسميت سُورة القرآن تشبيهًا به، لكونها محيطة بآيات وأحكام إحاطة السّور بالمدينة قال: ولو نَزَلَتْ بعد النبيّين سُورةٌ ..إذًا نزلت فى مد حكم سُوَرات ومن قال: سؤرة بالهمز فمِن أسأرت الشراب، أي أبقيت منها بقِيَّة، كأنَّها قطعة مفردة من جملة القرآن.وقوله تعالى : (سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا) : أي جملة من الحُكْم والحِكَم).[14]

وهذا ما اردناه من اللفظ سور، الالفاظ التي اشتقت منه وهي سور، سُورة ففيها من معنى الاحاطة ما دل على الاشتمال والاحكام والمنع .

سابعا: طَوَقَ

كل ما استدار بشيء فهو طوق، وَسُمِّيَ الْبِنَاءُ طَاقًا لِاسْتِدَارَتِهِ إِذَا عُقِدَ. الطَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مِثْلِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْبَابُ الَّذِي قَبْلَهُ.. وَالطَّيْلَسَانُ طَاقٌ ؛ لِأَنَّهُ يَدُورُ عَلَى لَابِسِهِ. فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: أَطَاقَ هَذَا الْأَمْرَ إِطَاقَةً، وَهُوَ فِي طَوْقِهِ، وَطَوَّقْتُكَ الشَّيْءَ، إِذَا كَلَّفْتُكَهُ، فَكُلُّهُ مِنَ الْبَابِ وَقِيَاسِهِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَطَاقَهُ فَكَأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَدَارَ بِهِ مِنْ جَوَانِبِه [15].

وفي قوله تعالى: ((وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))آل عمران 18. قد استعمل القرآن الفعل (سيطوقون) في الآية.

وهذا يدل على أن اللفظ (طوق) يدل على الاحاطة التامة بالشيء من الوسط وتطويقه، ويستلزم القوة. فالطوق يحيط بما في داخلة احاطة مستديرة .

ثامناً: غُلّ:

جامِعة تُوضَعُ فِي العُنق أَو الْيَدِ، وَالْجَمْعُ أَغْلال لَا يكسَّر عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ؛ وَيُقَالُ: فِي رَقَبَتِهِ غُلّ مِنْ حَدِيدٍ، وَقَدْ غُلَّ بالغُلّ الجامِعة يُغَلُّ بِهَا، فَهُوَ مَغْلُول.[16]، وقد جاءت لفظة الأغلال في القرآن، كأداة يغل بها المجرمين يوم القيامة .فهي أداة احاطة تحيط بجزء من الجسد قد يكون العنق ، أو الأيدي والعنق معا. و وتشع في احاطتها معاني الاذلال والعقوبة .

فبعد التعريف بمعاني الالفاظ التي دلت على الإحاطة : سأتناول دلالة ألفاظ الإحاطة على وفق ما ارتبطت به في سياقاتها:

أولاً: الإحاطة المرتبطة بالله جل شأنه.

استعمل القرآن الكريم الفاظ الإحاطة مسندة الى الله سبحانه جلّ شأنه وكانت تلك الدلالات، دلالات معنوية غير محسوسة، دلت على قدرته سبحانه في الإحاطة التامة والشاملة إحاطة القدرة الالهية في العلم والتمكن، واحاطته بالعباد وأعمالهم احاطة المعرفة بها، فهو المحيط بكل شيء علما، وتمكنا سبحانه وتعالى، ودلالات مادية ملموسة من قبل البشر فأحاطته سبحانه بهم إحاطة ملموسة كالهلاك، وانزل العذاب.

ومن هذه الدلالات، ما ورد في قوله عز وجل: ((وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)) الطلاق: ١٢.أي وأحاط به علما، واحرزه كله، وهنا يكمن في الإحاطة معنى القدرة ، والتمكن فيها . فهي احاطة مطلقة ، حاشا أن يحاط بها . (وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً) فلا يخرج شيء عَنْ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ. وَنَصَبَ عِلْماً عَلَى الْمَصْدَرِ الْمُؤَكَّدِ، لِأَنَّ أَحاطَ بِمَعْنَى عَلِمَ. وَقِيلَ: بِمَعْنَى وَأَنَّ اللَّهَ أَحَاطَ إِحَاطَةً عِلْمًا.)[17]

في قوله تعالى: ((قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۝عالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا)) الجن 25-28.

أي لديه سبحانه احاطة بما يمتلك الرسل من العلم والشرائع ، فهو مهيمن عليها الحافظ لها[18]، فأحاطته بعلمهم احاطة شاملة لكل جوانبه ، فهم قد استقوا علمهم من لدنه سبحانه . وفيها ما يدل على القدرة والعلم المطلق اللامتناهي ، ((وَأَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ)) أَيْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِمَا عِنْدَهُمْ، أَيْ بِمَا عِنْدَ الرُّسُلِ وَمَا عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ. وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: الْمَعْنَى: لِيَعْلَمَ الرُّسُلُ أَنَّ رَبَّهُمْ قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِمَا لَدَيْهِمْ، فَيُبَلِّغُوا رِسَالَاتِهِ.(وَأَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً) أي أحاط بعدد كل شيء وعرفه وعلمه فلم يخف عليه منه شيء. وعَدَداً نصب على الحال، أي أحصى كل شيء فِي حَالِ الْعَدَدِ، وَإِنْ شِئْتَ عَلَى الْمَصْدَرِ، أي أحصى وعدّ كلّ شيء عَدَدًا، فَيَكُونُ مَصْدَرَ الْفِعْلِ الْمَحْذُوفِ. فَهُوَ سُبْحَانَهُ المحصي المحيط العالم الحافظ لكل شيء)) [19]

فالإحاطة في الآيتين السابقتين، وارتباطها بالله سبحانه تجلت فيها كمال قدرته سبحانه بكل نواحي الإحاطة المادية والمعنوية، فهي احاطة لا يحيط بها أحد غيره.

أما أحاطته سبحانه في سورة الكهف، والآية التي في حق ذي القرنين في قوله عز من قائل: ((ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا)). الكهف 89-91

هي إحاطته العلم المطلقة بما لديه من أسباب المُلْك والآلات والجنود (خُبْرًا) عِلْمًا تَعَلَّقَ بِظَواهِرِهِ وخَفاياهُ ويُفِيدُ هَذا عَلى الأوَّلِ زِيادَةَ تَعْظِيمِ الأمْرِ وأنَّهُ وراءَ ما وصَفَ بِكَثِيرٍ مِمّا لا يُحِيطُ بِهِ الأعْلَمُ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ، وهو عَلى الأخِيرِ تَأْوِيلٌ لِما قاسى في السَّيْرِ إلى أنْ بَلَغَ فَيَكُونُ المَعْنى، وقَدْ أحَطْنا بِما لاقاهُ، وحَصَلَ لَهُ في أثْناءِ سَيْرِهِ خُبْرًا أوْ تَعْظِيمٌ لِلسَّبَبِ المُوصِلِ إلَيْهِ في قَوْلِهِ تَعالى[20] وقيل: وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علما، ولا يخفى على الله ماهناك من الخلق، وأحوالهم وأسبابهم ولا من غيرهم شيء..[21]

هي إحاطة تشع منها دلالة القدرة، والعظمة لله سبحانه ،فهو العالم به والمحيط له، وكانت تلك من اسباب اختياره لما عهد إليه. فهي احاطة مادية معنوية تامة شاملة. وقوله تعالى:((وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا طُغْيَانًا كَبِيرًا)) الاسراء 60.

لَمّا طَلَبُوا الرَّسُولَ بِالآياتِ المُقْتَرَحَةِ وأخْبَرَ اللَّهُ بِالمَصْلَحَةِ في عَدَمِ المَجِيءِ بِها طَعَنَ الكُفّارُ فِيهِ، هَذِهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيءِ ﷺ عَلى حُزْنِهِ مِن تَكْذِيبِ قَوْمِهِ إيّاهُ، ومِن إمْهالِ عُتاةِ أعْداءِ الدِّينِ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ، فَذَكَّرَهُ اللَّهُ بِوَعْدِهِ نَصْرَهُ، فَبَيَّنَ اللَّهُ أنَّهُ يَنْصُرُهُ ويُؤَيِّدُهُ وأنَّهُ ﴿أحاطَ بِالنّاسِ .فَقِيلَ: بِعِلْمِهِ فَلا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ، وقِيلَ: بِقُدْرَتِهِ فَقُدْرَتُهُ غالِبَةٌ كُلَّ شَيْءٍ[22]، ويمكن القول بأن الإحاطة هنا العصمة، والمنع من الناس، أو الإحاطة بهم وإهلاكه إياهم، وقد ذكر الفعل بلفظ الماضي ليؤكد وقوعه. فقد تداخل معنى الإحاطة المادية والمعنوية في عصمته تعالى للرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، ووقع الهلاك عليهم.

وهذا دليل على أن إحاطة الله سبحانه تامة شاملة ، ففيها عصمة للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ؛ لأنه محيط بالناس ، من جميع جوانبهم ، قادر على اهلاكهم متى شاء .

وفي قوله: (((وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا(٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١))) الفتح 20-21.

هذه هي المغانم التي أعدت لَكُمْ وَمَغَانِمَ أُخْرَى. "لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحاطَ اللَّهُ بِها" قيل:هِيَ الْفُتُوحُ الَّتِي فُتِحَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، كَأَرْضِ فَارِسَ وَالرُّومِ،وَجَمِيعِ مَا فَتَحَهُ الْمُسْلِمُونَ.[23]

مَعْنَى "قَدْ أَحاطَ اللَّهُ بِها فَهِيَ كَالشَّيْءِ الَّذِي قَدْ أُحِيطَ بِهِ مِنْ جَوَانِبِهِ، " أَيْ أَعَدَّهَا لَكُمْ، ـ فهُوَ مَحْصُورٌ لَا يَفُوتُ، فَأَنْتُمْ وَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا فِي الْحَالِ فَهِيَ مَحْبُوسَةٌ عَلَيْكُمْ لَا تَفُوتُكُمْ. وَقِيلَ: "أَحاطَ اللَّهُ بِها" عَلِمَ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمْ، كَمَا قَالَ "وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عِلْماً)"الطلاق:12. وَقِيلَ: حَفِظَهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ. لِيَكُونَ فَتْحُهَا لَكُمْ. "وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً."

فالإحاطة هنا قد شملت معنى الاعداد والحفظ . فقد أعدها لكم ، وأحاطت قدرته بها ، فهي محبوسة لكم ، ومحفوظة بقدرته .

وقوله تعالى: ((بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)).البروج: 19-22 أي هو قادر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون وثمود. ومن كان محاطًا به فهو محصور في غاية لا يستطيع دفعًا. والمعنى دنو هلاكهم، فالإحاطة هنا، احاطة القدرة الهية ، التي احاطت بهم، واستدارت حولهم .

ونظير ذلك في قوله عز وجل: ((أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)) البقرة 19.

الله محيط بالكافرين عالم بما تخفي صدورهم : (أيْ لا يَفُوتُونَهُ كَما لا يَفُوتُ المُحاطُ المُحِيطَ، فَإحاطَتُهُ تَعالى بِهِمْ مَجازٌ تَشْبِيهًا لِحالِ قُدْرَتِهِ الكامِلَةِ الَّتِي لا يَفُوتُها المَقْدُورُ أصْلًا بِإحاطَةِ المُحِيطِ بِالمُحاطِ، بِحَيْثُ لا يَفُوتُهُ، فَيَكُونُ في الإحاطَةِ اسْتِعارَةٌ تَبَعِيَّةٌ، وإنْ شَبَّهَ حالَهُ تَعالى ولَهُ المَثَلُ الأعْلى مَعَهُمْ، بِحالِ المُحِيطِ مَعَ المُحاطِ، بِأنْ تُشَبَّهَ هَيْئَةٌ مُنْتَزَعَةٌ مِن عِدَّةِ أُمُورٍ بِمِثْلِها، كانَ هُناكَ اسْتِعارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ لا تَصَرُّفَ في مُفْرَداتِها، إلّا أنَّهُ صَرَّحَ بِالعُمْدَةِ مِنها وقَدَّرَ الباقِيَ)[24]، وقيل: بمعنى جَامِعُهم في جهنم، فمُحلٌّ بهم عُقوبته أما عاجلاً في الدنيا ،أو آجلاً في الأخرى..[25] فالإحاطة هنا تضمنت الاحاطة المطلقة التي لا يحاط بكنهها، وان كانت دلالة الجمع فيها تدليل على قدرته وتمكنه سبحانه.

ومثلها في قوله تعالى: ((إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)) ال عمران : 120

وفي سورة الزمر نرى أن الاحاطة تحققت بلفظة (حافين) قال تعالى: ((وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) الزمر 75.

فبعد أن ذكر حكمه سبحانه في أهل الجنة والنار ، وأدخل كلا المحل الذي يستحقه، فهو الحكم العدل، ذكر الملائكة هم محيطون بعرشه، حافين به ، ومحدقين، يسبحونه تسبيح التلذذ لانتهاء التكليف، ويعظمونه سبحانه وتعالى[26]، فالملائكة مطبقين بحافتي العرش :أي بجانبيه. فإحاطة الطاعة والتسبيح له، والحمد له. تشع منها الهيبة والعظمة له وحده سبحانه وتعالى. وهنا نرى بأن إحاطة الحف يتجلى فيها أبداع الوصف للملائكة،

فالحفاف مفرده حاف، والحف: الدوران وهذ ا الاحداق لا يتحقق بالإفراد [27]، وإنما بالجمع، فالملائكة محدقين حول العرش بحركة دائرية يتخللها التسبيح والتمجيد لله وحده، وكأنها تجسد للوحة من الهيبة والتعبد الممزوج بالحمد له جل شأنه. وفي ادخال (من) فيه إشارة الى أن الملائكة مع كثرتهم ، فلا يحصي عددهم الا الله، مع ذلك لا يملؤون حوله[28]. فلا يمكن أن يحيط بعرشه شيء سبحانه.

ثانيا: الاحاطة المرتبطة بالرسل وسائر البشر

وردت الفاظ الإحاطة مرتبطة بالرسل، وسائر البشر في آيات عدة، وبنيت معنى احاطة البشر ، فمهما بلغ الانسان من العلم والتمكن ، يبقى متصاغرا امام عظمته سبحانه ففي قوله تعالى: ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ)) البقرة 255.

بينت الآية أن سائر البشر لا يحيطون بعلم الغيب الا ما ارتضاه لهم الله سبحانه . ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ أَيْ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أَنْ يُطْلِعَهُمْ عَلَيْهِ يَعْنِي لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ إِلَّا بِمَا شَاءَ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ الرُّسُلَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾، لذا يمكن القول بأن احاطة الله هي الإحاطة التامة ، الشاملة لكل جوانب العلم ، أما الانسان لا تتجاوز ما أخبر به الرسل ، فهي إحاطة مرتبطة بقدرته سبحانه بما شاء الله لهم أن يعلموه. فهي علاقة الجزء بالكل ، فالعلم الإلهي هو الأصل الذي يستقي منه الرسل والأنبياء، وهم من يخبر به بقية الخلق، ويستقي كل حسب ما يريد. أما قوله((ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء))، فإنه يعني تعالى ذكره: أن العبادة لا تنبغي الا لمن هو محيط بكل شيء ، محص له دون غيره، فكيف تكون العبادة لمن لا يفقه شيئاً، ولا يعلمه من الأصنام، فهو المحيط والعالم، ولا يعلم غيره إلا ما ينبغي لهم الا يعلموه ، فهي صفة التفرد بالعلم الذاتي[29] .

في قوله تعالى ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرًا﴾]الكهف: 68. في سياق مخاطبة العبد الصالح (عليه السلام) لنبي الله موسى (عليه السلام)، بأسلوب استفهامي خارجا للتعجب عن مدى صبره على أشياء لم يحط بها علما.

وهنا تتجلى الاحاطة التامة بالعلم بشيء من الفيض الإلهي تنبيها على أن الصبر التام إنما يقع بعد إحاطة به.[30]

وفي قوله سبحانه:((حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)) يونس: 22.

((أُحِيطَ بِهِمْ)) أيْ أُهْلِكُوا كَما رَواهُ ابْنُ المُنْذِرِ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ فَفي الكَلامِ اسْتِعارَةٌ تَبَعِيَّةٌ وقِيلَ: إنَّ الإحاطَةَ اسْتِعارَةٌ لِسَدِّ مَسالِكِ الخَلاصِ تَشْبِيهًا لَهُ بِإحاطَةِ العَدُوِّ بِإنْسانٍ ثُمَّ كُنِّيَ بِتِلْكَ الِاسْتِعارَةِ عَنِ الهَلاكِ لِكَوْنِها مِن رَوادِفِها ولَوازِمِها وقِيلَ: إنَّ ذَلِكَ مَثَلٌ في الهَلاكِ والظَّنُّ عَلى ما يَتَبادَرُ مِنهُ وجُوِّزَ أنْ يَكُونَ بِمَعْنى اليَقِينِ بِناءً عَلى تَحَقُّقِ وُقُوعِهِ في اعْتِقادِهِمْ أوْ كَوْنِ الكِنايَةِ عَنِ القُرْبِ مِنَ الهَلاكِ.[31]. فالإحاطة بهم احاطة مادية، فقد سدت عليهم جميع منافد النجاة .وان كان ظنا ، ولكن احتمال حدوثه وارد التحقق.

وايضا وردت الاحاطة مادية بمعنى الاهلاك في قوله تعالى: ((وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا)) الكهف 42.أي ((وأُحِيطَ بِثَمَرِهِ)). أي أحاط بثمرة الهلاك والدمار، وقد أخذ من إحاطة العدو، واستدارته من كل جانب ، ثم استعمل في كل غلبة واستيلاء، وذَكَرَ الخَفاجِيُّ((أنَّ في الكَلامِ اسْتِعارَةً تَمْثِيلِيَّةً؛ شَبَّهَ إهْلاكَ جَنَّتَيْهِ بِما فِيهِما بِإهْلاكِ قَوْمٍ حاطَ بِهِمْ عَدُوٌّ وأوْقَعَ بِهِمْ بِحَيْثُ لَمْ يَنْجُ أحَدٌ مِنهُمْ، ويُحْتَمَلُ أنْ تَكُونَ الِاسْتِعارَةُ تَبَعِيَّةً، وبَعْضٌ يُجَوِّزُ كَوْنَها تَمْثِيلِيَّةً تَبَعِيَّةً انْتَهى)) [32].

فالدمار الذي لحق جنة الكافر، دمار شامل قد شمل كل جوانبها، وهي احاطة شاملة مادية كالجدار الذي استدار حولها، وأحاطها، فلم يبق منها شيء، حتى أخذ يضرب كفيه من شدة الحسرة عليها.

أما في قوله عز من قائل:((بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) البقرة 81.

والمقصور بِالإحاطَةِ: الشمول، والاستيلاء وعُمُومُ الظّاهِرِ، والباطِنِ، والخَطِيئَةُ قيل الذنوب ، وقيل السيئة السَّيِّئَةُ، ولِذَلِكَ أضافَ الإحاطَةَ إلَيْها إشارَةً إلى أنَّ السَّيِّئاتِ بِاعْتِبارِ وصْفِ الإحاطَةِ داخِلَةٌ تَحْتَ القَصْدِ بِالعَرَضِ، لِأنَّها بِسَبَبِ نِسْيانِ التَّوْبَةِ، ولِكَوْنِها راسِخَةً فِيهِ مُتَمَكِّنَةً حالَ الإحاطَةِ أضافَها إلَيْهِ بِخِلافِ حالِ الكَسْبِ، فَإنَّها مُتَعَلِّقُ القَصْدِ بِالذّاتِ، وغَيْرُ حاصِلَةٍ فِيهِ، فَضْلًا عَنِ الرُّسُوخِ، فَلِذا أضافَ الكَسْبَ إلى سَيِّئَةٍ ونَكَّرَها، وإضافَةُ الأصْحابِ

إلى النّارِ عَلى مَعْنى المُلازَمَةِ، لِأنَّ الصُّحْبَةَ، وإنْ شَمِلَتِ القَلِيلَ والكَثِيرَ لَكِنَّها في العُرْفِ تُخَصُّ بِالكَثْرَةِ، والمُلازَمَةِ، ولِذا قالُوا: لَوْ حَلَفَ مَن لاقى زَيْدًا أنَّهُ لَمْ يَصْحَبْهُ لَمْ يَحْنَثْ، والمُرادُ بِالخُلُودِ الدَّوامُ، ولا حُجَّةَ في الآيَةِ عَلى خُلُودِ صاحِبِ الكَبِيرَةِ، لِأنَّ الإحاطَةَ إنَّما تَصِحُّ في شَأْنِ الكافِرِ، لِأنَّ غَيْرَهُ ان لم يكن له سوى تصديق قلبه، واقرار لسانه، فلم تحط خطيئته به لكون لسانه وقلبه منزها عن الخطيئة(33)، وقيل معنى أحاطت به خطيئته : مات ولم يتب(34)

فإحاطة الخطيئة حملت معنى التقييد والإحاطة بالكافر من جميع جوانبه، وهي الدافعة للامتناع عن قبول التوبة.

وفي اسناد الاحاطة للخطيئة في ذلك نكتة بلاغية، تبين أن استمرار الإنسان فيها يجعل منها جدارا يحيط به، فيمنعه من التوبة والتوجه إلى الله، وفي ذلك اشارة الى تجمع المعاصي واحاطتها من جميع الجوانب .فالإحاطة وان كانت بمعنى التقييد ، ففيها من الدلالة المطلقة ما يكفي للإشارة إلى ذلك الجدار الذي أحاط بالإنسان فلا منفذ فيه، لذا من الصعب أن يجتازه العاصي.

وفي قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) الحجرات 4-5.

نجد أن الاحاطة، قد تحققت بلفظة (الحجرات) والحجرات: جمع حجرة، وهي قطعة من الأرض، تكون ممنوعة من الدخول ،أي محجوره .قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِن وراءِ الحُجُراتِ﴾ مِن خارِجِها خَلْفَها أوْ قُدّامَها عَلى أنَّ (وراءِ) مِنَ المُواراةِ والِاسْتِتارِ فَما اسْتَتَرَ عَنْكَ فَهو وراءٌ خَلَفًا كانَ أوْ قُدّامًا إذا لَمْ تَرَهُ فَإذا رَأيْتَهُ لا يَكُونُ وراءَكَ، فالذين امتحن الله قلوبهن كان ينادون الرسول من وراءها، فهم مستترين بها، وهنا تحققت الإحاطة المادية بهم .وقد تضمنت الإحاطة معنى الاستتار والمنع ، فهم داخلها مستترين بين حيطانها.

أما في قوله سبحانه: ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا))نساء 23. فالحجور، هنا بمعنى الرعاية والحفظ، للربيب هو ولد

المرأة من رجل آخر . فيكون في حفظهم ويحيطونه بالعناية، فالإحاطة هنا معنوية تضمنت الرعاية والحفظ. ويقال فلان في حجر فلان، أي في كنفه ومنعه [35]

أما في قوله تعالى((وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)) النساء 34. والإحْصانُ في المَرْأةِ وردَ في اللُّغَةِ، واسْتُعْمِلَ في القُرْآنِ بِأرْبَعَةِ مَعانٍ: الإسْلامُ، والحُرِّيَّةُ، والتَّزَوُّجُ، والعِفَّةُ، وزادَ الرّافِعِيُّ العَقْلَ؛ لِمَنعِهِ مِنَ الفَواحِشِ[36]

فالمعنى اللغوي، للمحصنات لم يتعد المنع، والعفة بوجود العقل، الا أن الاحصان، كما ذكر اهل المعاجم، فيه من الإحاطة والتسور ما يمنع ارتكاب المعاصي بوجود الزوج، وجعل القرآن من دون ذلك القتل والدم، فالمرأة محصنة تحصينا محاطا بعفتها، يكون حاجزا ومانعا لها من ارتكاب المحرمات. ويكون رادعا للأخرين لصعوبة تجاوزه، لا حاطت نفسها به.

أما في قوله تعالى في سورة الحشر ، نرى لفظة (محصنة) دلت على الإحاطة المادية ((لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (١٣) لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (١٤)) [الحشر 13-14.

قال تعالى : إن هؤلاء اليهود بني النضير لا يقاتلونكم مجتمعين إلا في قرى محصنة بالحصون، لا يبرزون لكم بالبراز، ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ يقول: أو من خلف حيطان. فانتم أشد رهبة عندهم من الله سبحانه لذا يستخفون بالمعاصي[37]. فالإحاطة المحصنة من جميع الجوانب، في نظرهم مانعة لهم. تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً مجتمعين ذوى ألفة واتحاد وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى متفرقة لا ألفة بينها، يعنى. إنّ بينهم إحنا وعداوات، فلا يتعاضدون حق التعاضد. فالإحاطة المادية (بالحصون) لم تحميهم من تفرق قلوبهم .

ثالثا: الاحاطة المرتبطة بالآخرة، وما يتعلق بها .ونقصد بها الألفاظ التي تدل على الإحاطة، ووردت في الآيات التي تحدثت عن الآخرة ، وما يجري فيها من عقاب للكافرين، وغيرهم .

فقد ورد لفظ الإحاطة مع جهنم، وكما هو معروف بأن عذاب جهنم يكون في الآخرة للكافرين، وهو الأوفى لهم لكفرهم بالله. فقد وردت جامعة لهم مطبقة عليهم، ومحيطة في قوله تعالى: ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)).التوبة 49.

فالله سبحانه لا يكره الخروج لنصرة النبي (صلى الله وعليه واله وسلم)، وقتال الأعداء، وانما كان خروجهم فيه من الإفساد والاضعاف والتوهين[38]، لذلك اقتضت الحكمة عدم خروجهم؛ لابتغاهم الفتنة، وتقليب الأمور .وسقوطهم في الفتنة، من أجل ذلك جاء التوكيد ب(إنّ) في إحاطة جهنم بهم

فهي جامعة لهم، ومطبقة عليهم[39]، فلا مفرّ منها أو خروج، وقيل معنى الإحاطة هنا: إن النار محيطة بهم، لم يبق إلا أن يدخلوها. فقد تضمنت الاحاطة الجمع والاطباق، وما يتضمن ذلك من العذاب فيها ليكون الاطباق اكثر شدة ، والعذاب أكثر احاطة بهم .

ومثلها في قوله تعالى: ((وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٣)) العنكبوت 53. فجهنم محيطة بهم، إحاطة تامة، لم يبق شيء ويدخلوها . فتحيط بهم إحاطة الجمع والاطباق التام.

وفي موضع أخر نرى أن الإحاطة ، وردت بلفظة (سور)، يضرب بين الذين امنوا والمنافقين . في قوله تعالى: ((يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(١٤))الحديد13.

ففي يوم القيامة، يُعطي الله المؤمنين انورا على قدر أعمالهم، ويعطى للمنافقين انورا خدعة لهم، لان الله خادعهم، ثم يبعث الله ريحا تطفئ انوار المنافقين، ويُقال لهم : ارجعوا حتى تطلبوا لأنفسكم نورا، لكن لا سبيل، فيرجعون في طلب

النور، فَلَا يَجِدُونَ شَيْئًا فَيَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِمْ لِيَلْقُوهُمْ فَيُمَيَّزُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ قَوْلُهُ :﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ أَيْ سُورٌ، والباء ، صِلَةٌ يَعْنِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَهُوَ حَائِطٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ﴿لَهُ﴾ أَيْ لِذَلِكَ السُّورِ ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أَيْ فِي بَاطِنِ ذَلِكَ السُّورِ الرَّحْمَةُ وَهِيَ الْجَنَّةُ ﴿وَظَاهِرُهُ﴾ أَيْ خَارِجَ ذَلِكَ السُّورِ ﴿مِنْ قِبَلِهِ﴾ أَيْ مِنْ قِبَلِ ذَلِكَ الظَّاهِرِ ﴿الْعَذَابُ﴾ وَهُوَ النَّارُ.[40]

السور الذي سيضرب بينهم، هو حائط عازل بين الجنة والنار ، فلا نعلم كنهه، فقد تضمن الإحاطة والعزل المطلق بين الطرفين ، ولا يستبعد حصوله في الآخرة ، وان ورد مكانه في بعض التفاسير، قيل ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهم بِسُورٍ﴾ هو سُورُ بَيْتِ المَقْدِسِ الشَّرْقِيُّ ﴿باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ المَسْجِدُ ﴿وظاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذابُ﴾ يَعْنِي وادِيَ جَهَنَّمَ وما يَلِيَهُ.[41]الذي يهمنا المعنى

اللغوي للسور، وما تضمنه من معنى الإحاطة في الآخرة. التي تبدو احاطة محسوسة بين الطرفين ما بين العذاب والنعيم. والله أعلم

فالإحاطة تضمنت معنى العزل والتميز المادي والمعنوي بين المؤمنين والمنافقين.وقد سميت سور القران بذلك، لان تحيط بالأحكام، تشبيهًا به، لكونها محيطة بآيات وأحكام إحاطة السّور بالمدينة[42].يقول تعالى ذكره: ويقول الذين صدّقوا الله ورسوله: هلا نزلت سورة من الله تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ يعني: أنها محكمة بالبيان والفرائض. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدَثَةٌ﴾ .[43]

فالسور القرآنية: تحيط أحاطه معنوية، بما تشتمل عليه آياتها، فقد تضمنت الإحاطة معها معنى الشمول .

ومن الفاظ التي وردت في القرآن دلت على الاحاطة لفظة (سيطوقون)، في قوله تعالى: ((وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)) آل عمران 18

وسبب نزول هذه الآية، إن اليهود قالوا لنبي الله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): أفقير ربك حتى يطلب منا القرض، وهو جهل وتجاهل منهم، فتشبيه الشيء بالشيء، فقد سمى الله سبحانه الزكاة بالقرض الذي سيبدله لهم يوما القيامة بالأضعاف المضاعفة.[44]

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: "سيطوَّقون"، سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاةَ، طوقًا في أعناقهم كهيئة الأطواق المعروفة)، وقيل : انه ثعبان يطوق بهم أعناقهم، وقيل يطوقون شجاعا أقرع ينهش رأسه[45]

فالإحاطة هنا مادية تضمنت معنى الترهيب والتهويل في صور الطوق فهو طوق ملتف حول أعناقهم بالأموال التي بخلوا بها أو طوق يتمثل بها كهيئة ثعبان أو غيره ففي إحاطة الاعناق دلالتان : هي مادية للعقوبة، ومعنوية للترهيب والتخويف وبشاعة الموقف، فالأطواق غالبا ما تحيط بالعنق للزينة، أما جعلها أطواقا للعقوبة ففيها من التحقير والاذلال مضافا للعقوبة .

أما في قوله تعالى: ((قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)) المائدة 64.

فقد ورد الفعل (غلّت) في موضع الدعاء على اليهود، بعد قولهم يد الله محبوسة عن العطاء. فالغل : هو يجمع اليد مع العنق، وحسب اقوال المفسرين ، ممكن أن يكون الغل حقيقة، هم يغلون في الدنيا أسارى، وفي الاخرة، سيعذبون وهم في أغلال جهنم.(46)

فالأغلال: وان كانت كناية عن البخل عند أغلب المفسرين إلا أن الغل بدلالته المادية في التقيد، ودلالته المعنوية بالبخل هو أحاطه تضمنت معنى القيد المحيط بالأيدي، وهو من يكفها عن العطاء او يجعلها محاطة، ومقيدة وهي تتلقى عذاب النار. فدلالة الفعل شملت معنى الاحاطة المذلة والمهينة لهم .

ونرى أن للإحاطة، دلالة التخويف والعذاب الشديد الذي سيلاقيه الكافر الذي يُوتى كتابه في شماله يوم القيامة، في لفظة (السلسلة)و(الأغلال):في قوله تعالى: ((وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ)) الحاقة 19-34

فيبدا التطويق والاحاطة بوضع الأغلال عليه ، أي تقيده وأحاطته بالأغلال ومن ثم يسلك بتلك السلسلة التي يبدو من طولها، أنها من أفظع آلات العذاب وآلمها في الجحيم، وفيها قولان: الاول : إنّها تدخل في دُبره، فتخرج من رأسه، بمعنى : اسلكوا فيه سلسلة(47)، والقول الاخر :إنها تلوى على جسده الى أن تلتفّ عليه، وهو-في داخلها-مرهقٌ مُضيق عليه، لا يقدر على أدنى حركة(48)، وهذا القول أقرب لمعنى الاحاطة بهذه السلسلة الملتفة عليه، والتي تفصح عن معاني المبالغة في الحبس والتضييق، والزيادة في العذاب؛ لأنها وسيلة للإحاطة والتضييق، والتوثيق فضلا عن كونها في الجحيم(49).

فالأغلال والسلاسل أدوات دلت على الإحاطة في الآخرة. الا انها احاطة تضمنت معنى التضيق المهين والعذاب الشديد بهما.

وأيضا في قوله عز وجل: ((وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥)الرعد 5. ﴿الأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ﴾ وفِيهِ احْتِمالانِ: الأوَّلُ أنْ يَكُونَ المُرادُ وصْفُهم بِذَلِكَ في الدُّنْيا فَهو تَشْبِيهٌ وتَمْثِيلٌ لِحالِهِمْ في امْتِناعِهِمْ عَنِ الإيمانِ وعَدَمِ الِالتِفاتِ إلى الحَقِّ بِحالِ طائِفَةٍ في أعْناقِهِمْ أغْلالٌ وقُيُودٌ لا يُمْكِنُهُمُ الِالتِفاتُ مَعَها كَقَوْلِهِ: كَيْفَ الرَّشادُ وقَدْ خُلِّفَتْ في نَفَرٍ لَهم عَنِ الرُّشْدِ أغْلالٌ وأقْيادُ

أُولَئِكَ مُقَيَّدُونَ بِقُيُودِ الضَّلالَةِ لا يُرْجى خَلاصُهُمُ : الثّانِي أنْ يَكُونَ المُرادُ وصْفَهم بِهِ في الآخِرَةِ والكَلامُ إمّا باقٍ عَلى حَقِيقَتِهِ قالَ سُبْحانَهُ :﴿إذِ الأغْلالُ في أعْناقِهِمْ والسَّلاسِلُ﴾ ورُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الحَسَنِ قالَ: إنَّ الأغْلالَ لَمْ تُجْعَلْ في أعْناقِ أهْلِ النّارِ لِأنَّهم أعْجَزُوا الرَّبَّ سُبْحانَهُ ولَكِنَّما جُعِلَتْ في أعْناقِهِمْ لِكَيْ إذا طَغا بِهِمُ اللَّهَبُ أرْسَتْهم في النّارِ وإمّا مُخَرَّجٌ مَخْرَجَ التَّشْبِيهِ لِحالِهِمْ بِحالِ مَن يُقَدَّمُ لِلسِّياسَةِ وقِيلَ: المُرادُ مِنَ الأغْلالِ أعْمالُهُمُ الفاسِدَةُ الَّتِي تَقَلَّدُوها كالأغْلالِ وهو جارٍ عَلى احْتِمالِ أنْ يَكُونَ ذَلِكَ في الدُّنْيا أوْ في الآخِرَةِ والأوَّلُ ناظِرٌ إلى ما قِيلَ والثّانِي إلى قَوْلِهِ تَعالى :﴿وأُولَئِكَ﴾ أيِ المَوْصُوفُونَ بِما ذُكِرَ ﴿أصْحابُ النّارِ هم فِيها خالِدُونَ﴾[50].

فإحاطة الأغلال في الآية : تضمن معنى الإحاطة المعنوية ، بأغلال الضلالة وقيودها، فهي محيطة بأعناقهم لا يستعطون الالتفات معها، ومعرفة الحق، أو أنها أحاطه مادية بأغلال أعدت في الجحيم ، تركسهم في النار. واعوذ بالله . ومثلها في قوله تعالى: ((الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤))) غافر.

وفي قوله تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) سبأ ٣٢-٣٣

فالأغلال: في الأعناق، هي قيود توضع في رقاب الذين كفروا من المستكبرين[51]، فهي محيطة بالأعناق، ربما هي قيود من نار ، فمهما كان نوع القيد او صفته، فالمراد به الإحاطة والإذلال للكافرين. فالأغلال التي وردت في الآيات في أعناق الذين كذبوا بالكتاب وبم أرسلت به الرسل، أو في أعناق الكافرين، ماهي إلا جوامع من نار جهنم أعدت لهم مكافاة على أعمالهم في الدنيا، وتكذيبهم ، فكانت ثوابا لأعمالهم الخبيثة.

أما في قوله تعالى: ((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). الأعراف ١٥٧

هنا قد تكون الأغلال على وجه الحقيقة، فكما قيل بأن بنو اسرائيل إذ قامت تصلي لبسوا المسوح ربما ثقب الرجل ترقوته، وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها على السارية

يحبس نفسه على العبادة وغلوا أيديهم إلى أعناقهم . فهنا عندما جاء الرسول قد وضع عنهم هذه الاغلال، ويمكن أن تكون الأغلال ليست قيودا على وجه الحقيقة وانما هي التكاليف الشاقة على ما قيل، كقطع الأعضاء الخاطئة، وتعين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية وقطع موضع النجاسة من الثوب أو منه ومن البدن، وإحراق الغنائم، وتحريم السبت، فإنه وإن لم يكن مأمورا به في الألواح إلا أنه شرع بعد تشديدا عليهم . فالأغلال بالتكاليف كقيود الحقيقة التي تحيط بهم، فهي شاقة عليهم ،كالأغلال في الاعناق، لشدتها[52].

أما ما ورد في إحاطة الظالمين بالسرادق في قوله تعالى: ((وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)) الكهف 29

والسرداق: "السُّرَادِقُ": الْحُجْرَةُ الَّتِي تُطِيفُ الْفَسَاطِيطِ وفيه عدة أقوال :منها" سُرَادِقُ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ كَثْفُ كُلِّ جِدَارٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً"وهي:: هُوَ حَائِطٌ مِنْ نَارٍ.وقيل: هُوَ عُنُقٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ فَيُحِيطُ بِالْكُفَّارِ كَالْحَظِيرَةِ.[53] وَقِيلَ: هُوَ دُخَانٌ يُحِيطُ بِالْكُفَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى :((انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ))]المرسلات: 30.

ومن خلال تلك الأقوال: تبين أن الإحاطة بالسرادق إحاطة شاملة تامة في النار، تضمنت الاغلاق المطلق عليهم، فهم يستغيثون فيها .اجارنا الله منها.

رابعا: الإحاطة المرتبطة بالموجودات الأخرى(الحية ، والجامدة). منها ورد على لسان الهدهد في قوله تعالى: ((وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١)): سورة النمل.

حسب ما ورد في التفاسير، الاحاطة هنا بمعنى العلم [54]، والاطلاع، أي اطلعت على خبر مدينة سبأ، وعمل أحوالهم. و(أَعْلَمَ سُلَيْمَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ، وَدَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ مَا تَوَعَّدَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَالذَّبْحِ)[55].

فدلالة الإحاطة، كانت معنوية لم تتعد العلم بعد اطلاعه(الهدهد) على البلدة .فكانت إحاطته معرفية تطلبت السعي للكشف، وليست بمفهوم العلم بالغيب .وقيل ان الله الهم الهدهد بها، على ان سليمان له من العلم والإحاطة بالمعلومات الكثيرة على ان أدنى خلقه واضعفه قد أحاط بما لم يحط به ، وفي ذلك ابتلاء له في علمه ، لتتحاقر اليه نفسه ، ويصغر اليه علمه، لان الإحاطة بها من الأمور المحسوسة ، لاتعد بها فضيلة ، ولا الغفلة عنها نقيضة[56]. فالإحاطة الهدهد لم تتعد المعرفة الحسية .في الإخبار بعد الاطلاع المكاني.

وفي قوله تعالى: ((وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا))الكهف 32. فهنا فعل الاحاطة (حف)، ورد فقد وصف الجنتين التي كان يملكهما أحد المشركين، وهي من البساتين المثمرة ، وقد أحدق بهما النخل ، وأحاط بهما ((57))، فالإحاطة هنا مادية، لم تتعد الإحاطة والاستدارة حول الشيء، والاحداق به.

أهم ما توصل إليه البحث:

1- إن الاحاطة في القران الكريم ، جاءت بالألفاظ المشتقة من جذر (حوط) ، والفاظ اخرى لها نفس الدلالة، (حجر، حصن، حفّ، سردق، سلّ، سور، طوق، غلّ)
2- جاءت الفاظ الإحاطة في القران الكريم،كما وردت في البحث مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، ومع الرسل وسائر البشر ، وبالآخرة وما يتعلق بها، ومع بعض الموجودات الأخرى.
3- إن الإحاطة في القرآن، جاءت مع الله سبحانه تعالى معنوية، فهو المحيط بكل شيء، وقد دلت على العلم، والتمكن، والقدرة .وإن وردت معه سبحانه مادية بمعنى الاهلاك لكن تبقى غير معروف كنهها، فهي إحاطة عامة شاملة .
4- إنّ الاحاطة التي وردت مع الرسل، وغيرهم من البشر. كان معنوية أحيانا، ومادية أحياناً أخرى .
5- إنّ الالفاظ الاحاطة المرتبطة بالآخرة: دلت على احاطة التمكن من الله سبحانه، وقد تضمنت التهويل للتخويف من عذابه ، ولاسيما في الآيات التي ارتبطت بجهنم، فهي يمكن أن تكون إحاطة مادية محسوسة في عذاب جهنم، ويمكن أن تكون معنوية لما تثيره من رعب وتضييق على الكافر في عذاب جهنم.
6- وردت الاحاطة بألفاظ من غير جذر حوط، وقد بينت ما يعانيه أصحاب النار في العذاب كـ (السلاسل، والسرادق، والاغلال)، فالسلاسل والاغلال استعملت كأدوات للإحاطة لبيان التضييق والإحاطة بالكافرين .
7- وردت الاحاطة مع الهدهد في سورة النمل، ودلت على احاطة العلم والذي كان عن طريق الاطلاع والمشاهدة. وردت مع الجنتين لفظة (حف) ودلت على الإحاطة المادية.
8- الفاظ الإحاطة في القرآن ادت المعاني في جميع صورها، فكانت احاطتها المادية متداخلة مع المعنوية، لتؤدي المعنى وتحيط به لفظا ودلالة.

الهوامش:

---

(1) – ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (393هـ)، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت،ط4، 1987: ج3/ 121 (فصل الحاء)

(2)- ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المعروف بالحلبي)، المحقق: دار الكتب العلمية ، ط1، 1996م:ج1/ 176(حوط)

(3)- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (موصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم)د.محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 2010:ج1: 454(حوط)

(4)- التعريفات : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(816)هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط11983: باب الالف: ص11

(5)– ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل : ج1،381

(6)- ينظر: السمين الحلبي :عمدة الحفاظ : فصل الحاء والجيم :376.

(7)– ينظر:لسان العرب: ابو الفضل :جمال الدين ابن منظور الانصاري (ت711هـ): الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين ، دار صادر ، بيروت ،ط3، 1414هـ: ج13:119(فصل الحاء)

(8)- ينظر: المعجم الاشتقاقي :ج1/458(حفف).

(9)- المصدر نفسه: ج1/ 459(حفف)

(10)- ينظر: المنذري الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبدالله أبو محمد زكي الدين المنذري (ت656هـ)، ضبط أحاديثه وعلق عليه : مصطفى محمد عمارة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط1968،3: 95/1

(11) ينظر: لسان ا لعرب: ج 10/ 157(فصل السين المهملة).

(12)- ينظر: مفردات الفاظ القران ، العلامة الراغب الاصفهاني (425)هـ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، دار الشامية ، بيروت ،ط1425،4هـ: : 418(سلّ)، معجم القرآن ، المحامي عبد الرزاق المصري ، دار السّرور، بيروت ، لبنان ،ط1984،2: 275/1، الالة والاداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات ، معروف الرصافي ، وتحقيق وتعليق : عبد الحميد الرّشويّ، دار الرشيد للنشر ، بغداد- العراق 1980م: 148

(13) المفردات في غريب القرآن :أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت502)هـ ، المحقق: صفوان عدنان الداوودي ، دار العلم ، دار الشامية ،دمشق ، بيروت ،ط1، 1412هـ:433.

(14)–ينظر: عمدة الحفاظ : للفيروز آبادي :ج1: 373

[15]- ينظر: مقاييس اللغة :احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت395)ه ، عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ، عالم النشر، 1399ه-1979م : ج3/433(طوق) والمعجم الاشتقاقي المؤصل :ج3/ 340(طوق).

[16]- ينظر: معجم مقاييس اللغة : ج1/ 480(غل) ، و لسان العرب : ج504/11، (غلّ) ، والمعجم الاشتقاقي: ج599/3(غل)

[17]- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري 310ه، دار التربية والتراث، مكة المكرمة ، بلا تأريخ، ج17/ 470

[18]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، للأمام محمود بن عمر الزمخشري ، ضبط وتوثيق ابي عبدالله الداني بن منير ال زهوي ، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان،: 477/4.

[19]- الجامع للأحكام القرآن : أبو عبدالله محمد بن أحمد الانصاري (القرطبي)، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط2، 1964م: ج19/ 31.

[20]- ينظر: روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الالوسي (ت1270)ه ، المحقق : علي عبدالباري عطية ، دار الكتب العلمية –بيروت ،ط1، 1415ه: ج358/8

[21]- ا ينظر : تفسير الطبري: ج101/18

[22]- ينظر: البحر المحيط في التفسير: ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان اثير الدين الاندلسي (ت745)ه ، المحقق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ط1، 1420ه: ج9/ 479. وينظر تفسير القرطبي : ج282/1.

[23]- ينظر: تفسير القرطبي: ج1/ 282.

[24]- تفسير روح المعاني : ج176/1.

[25]- ينظر تفسير الطبري: ج356/1.

[26]- ينظر : تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ج113/7

[27]- ينظر : روح المعاني: ج289/12.

[28]- فتح البيان : للقنوجي: ج12/ 151.

[29]- ينظر: تفسير الطبري: ج5/ 397

[30]- ينظر : عمدة الحفاظ : ج232/2.

[31]- تفسير روح المعاني:ج6/ 92.

[32]- المصدر نفسه:ج268/8.

[33]- تفسير: روح المعاني:ج4/3.

[34]- تفسير الطبري: ج286/2.

(35)- ينظر: روح المعاني : الالوسي : ج2، 465.

(36)- تفسير روح المعاني: ج4/3

(37)- تفسير الطبري: ج291/23.

(38)- ينظر: التبيان في تفسير القران ، الشيخ الطوسي (ت460هـ)، تحقيق احمد حبيب قصير العاملي ، مطبعة الاعلام الاسلامي –بيروت ، ط1،1409هـ-1989م167/5، وينظر:أفنان في تدبر لغة القرآن: د. ميثاق حسن عبد الواحد الصالحي، المطبعة العالمية، ط1، بغداد،2022: 260.

(39)- ينظر تفسير الطبري: ج20/ 54.

(40)- ينظر: تفسير البغوي: ج36/8، وتفسير الالوسي:ج177/14.

(41)- تفسير روح المعاني: ج177/14

(42)- عمدة الحفاظ : الفيروز آبادي:ج232/2

(43)- تفسير الطبري: ج174/22

(44)ينظر: تفسير القرآن العظيم : أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي(643هـ): تحقيق وتعليق : د.موسى علي موسى مسعود، د. بأشرف محمد بن عبدالله القصاص، دار النشر للجامعات،ط1،2009م: ج161/1.

(45)- ينظر: تفسير الطبري:ج438/7.

(46)- ينظر تفسير البغوي : ج7،9وتفسير الالوسي ج3،347.

(47)- ينظر: معاني القرآن : 182/3.

(48)- ينظر مجمع البحرين :271/5سلك

(49)ينظر: الجمال التصويري لألفاظ العذاب في الأسلوب القرآني : دراسة دلالية ، د. ميثاق حسن عبدالواحد، دار الولاء لصناعة النشر ، بيروت –لبنان،2020.ص 83

(50)- تفسير روح المعاني: ج101/7.

(51)- ينظر: تفسير روح المعاني: ج320/11.

(52)- ينظر: المصدر نفسه : ج77/5.

(53)- ينظر: معالم التنزيل في تفسير القران (تفسير البغوي): ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت510)هـ ، حققه وخرج احاديثه محمد عبدالله النمر –عثمان جمعة ضميريه- سليمان مسلم الحرش ، الناشر/ دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط1417،4هـ-1997: ج167/5.

(54)- تفسير: روح المعاني : ج182/10.

(55)- تفسير القرطبي: ج181/12.

(56))-تفسير: روح المعاني : ج182/10.

(57)- ينظر: تفسير القران العظيم : ابن كثير: ج142/5.

- **المصادر**

- القرآن الكريم
- ابن فارس: :احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت395)ه ، : معجم مقاييس اللغة : تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ، عالم النشر، 1399ه-1979م .
- ابن منظور : جمال الدين ابن منظور الانصاري (ت711ه): لسان العرب ، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين ، دار صادر ، بيروت ،ط3، 1414ه.
- الاصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب(ت502ه): المفردات في غريب القرآن ، المحقق: صفوان عدنان الداوودي ، دار العلم ، دار الشامية ،دمشق ، بيروت ،ط1، 1412ه.
- الاصفهاني: العلامة الراغب الاصفهاني (ت425ه): مفردات الفاظ القران ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، دار الشامية ، بيروت ،ط1425،4ه.
- الالوسي: : شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الالوسي (ت1270)ه : روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني المحقق : علي عبدالباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط1، 1415ه.
- الاندلسي: ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف اثير الدين : (ت745)ه: البحر المحيط في التفسير ، المحقق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ط1، 1420ه: ج9/ 479.
- البغوي: ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت510)ه: معالم التنزيل في تفسير القران (تفسير البغوي): ، حققه وخرج احاديثه محمد عبدالله النمر –عثمان جمعة ضميريه- سليمان مسلم الحرش ، الناشر/ دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط1417،4ه-1997.
- جبل : د. محمد حسن حسن : المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (موصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 2010.
- الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(816)ه التعريفات : ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط.1983
- الجوهري : ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت،ط4، 1987.
- الحلبي : ، أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، المحقق: دار الكتب العلمية ، ط1، 1996م.

- الدمشقي: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت 774هـ): تفسير القرآن المحقق ، محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، ط1-1419هـ.
- الرصافي : معروف: الالة والاداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات ، وتحقيق وتعليق : عبد الحميد الرّشويّ، دار الرشيد للنشر ، بغداد- العراق 1980م.
- الزمخشري : الامام محمود بن عمر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، ضبط وتوثيق ابي عبدالله الداني بن منير ال زهوي ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
- الشافعي : أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي (ت643هـ) -تفسير القرآن العظيم ، تحقيق وتعليق : د. موسى علي موسى مسعود، د. أشرف محمد بن عبدالله القصاص، دار النشر للجامعات،ط1،2009م.
- الشيخ الطوسي(460)هـ : التبيان في تفسير القران ، تحقيق احمد حبيب قصير العاملي ، مطبعة الاعلام الاسلامي –بيروت ، ط1،1409هـ-1989م.
- الصالحي : د. ميثاق حسن عبدالواحد: أفنان في تدبر لغة القرآن ،المطبعة العالمية الحديثة ، ط1،: بغداد،2022.
- الصالحي: د. ميثاق حسن عبد الواحد الجمال التصويري لألفاظ العذاب في الأسلوب القرآني : دراسة دلالية ، دار الولاء لصناعة النشر ، بيروت –لبنان،2020.
- الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (310هـ) : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ، دار التربية والتراث، مكة المكرمة ، بلا تأريخ.
- القرطبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد الانصاري: الجامع للأحكام القرآن ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط2، 1964م.
- القنّوجي : أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي (ت1307هـ): فتح البيان في مقاصد القرآن : عني بطبعه وقدم له وراجعه خادم العلم عبد اللّه بن إبراهيم الانصاري ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر-صيدا- بيروت :1412هـ-1992م.
- المصري : المحامي عبد الرزاق: معجم القرآن ، دار السّرور ، بيروت ، لبنان ،ط1984،2: 275/1،
- المنذري: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبدالله أبو محمد زكي الدين(ت656)هـ:: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: ضبط أحاديثه وعلق عليه : مصطفى محمد عمارة ، الناشر: مكتبة البابي الحلبي – مصر تصوير (جار إحياء التراث العربي / بيروت)، ط1388،3-1968.

The significance of the words of briefing in the Holy Quran

Assist Prof Dr. Fatima Abdul Zahra Abdul Jalil Al-Aidani,
General Directorate of Education, Basra
Department of Arab Shatt Education

Fatimaabd925@gmail.com

Keywords :values. beauty. beauty influences

Summary:

Briefing is one of the words that come to mind when you hear it, surrounding the thing from all its sides, including staring at the thing, and surrounding it physically. As for what was mentioned in the Holy Qur'an of words, it exceeded the perceived physical briefing to the meanings manifested in which the power of God, and his greatness in the gaze of things and surrounding them, and showed the ability of God Almighty and his empowerment, it is a briefing that exceeded what is going on in the minds to the indication of greatness, knowledge, mastery, oppression and destruction, either the briefing is related to himself Almighty, such as associated with the messengers and other human beings, can be within the material and moral briefing at the same time. As for the hereafter, it can be physical, because the torment is a material reality (according to what is mentioned in the interpretations), for intimidation and intimidation, and it can be moral in order to hold oneself accountable and return to the truth. However, our treatment of it does not exceed the linguistic significance, and the semantics that fragment from it.